

## ما زال يهدّد السعودية والامارات نتيجة انحرافهما في حرب النفط ضد إيران؟



قاسم عز الدين

الرئيس الأميركي الذي يهدّد بتصفيير صادرات النفط الإيرانية، يراهن على خصوص الدول المعنية بالإعفاءات الأميركية إلى إملاءات ترامب وبولتون، كما يراهن على فرض تسويق النفط السعودي والاماراتي في هذه الدول لاستحواذ أميركا على عائداتها النفطية والمضي قدماً في "صفقة القرن". لكن إذا رضخت هذه الدول إلى شريعة الغاب الأميركي على خلاف ما تشير الواقع، فإن تحويل الصراع إلى حرب على امدادات النفط يحرق لهيبها امدادات السعودية والامارات ويطال أبعد منهما.

دول ثلاث خلippية، تعرب عن استعدادها للانحراف في حرب النفط التي يزمع ترامب شنّها ضد إيران، هي السعودية والامارات والبحرين. فالسعودية والامارات تخيلان حسابات مشكوك بها بشأن قدرتهما على تعويض النفط الإيراني في السوق الدولية. وتتوهمان النفط سلعة تجارية يمكنهما تسويقها بضغط من ترامب في الدول الحليفة لأميركا، من دون أن تراعي هذه الدول استراتيجية تعدد المصادر وحرصها على عدم الخضوع لإملاءات آحادية في إطار التحالف مع واشنطن. بينما تحتفى إسرائيل التي تقع حقولها لتصدير الغاز، على مرمى حجر من الضفة الشرقية للبحر المتوسط. وتتوهم هي الأخرى أن ترامب يبني "تحالف عالمي جديد" مع حلفاء أميركا في معادلة "إما أن تعمل مع إيران أو تعمل معنا" بحسب تعبير مبعوثه إلى إيران براين هوك في تصريحه لقناة سعودية ناطقة باللغة الإنكليزية.

الحسابات الأميركية — السعودية المشكوك بها، تخيل قدرتهما على تعويض مليوني برميل إيراني يومياً ولا تبدو هذه الحسابات واقعية. فالانتاج السعودي من النفط بلغ 10,7 مليون برميل بزيادة 700 ألف

برميل في شهر أيار / مايو الماضي على أن يبلغ الإنتاج السعودي في شهر أيار / مايو المقبل 11 مليون برميل بزيادة 300 ألف برميل كحد أقصى. وإلى جانب السعودية ينبغي أن يزداد الإنتاج الأميركي من 10,25 مليون برميل إلى 11 مليون برميل بحسب معهد "إينرجي إسبكتس" المتخصص باستراتيجيات النفط. وفي هذه الحسابات لا تعود أميركا وال سعودية والامارات مليوني برميل إيراني في السوق.

على الصعيد الاستراتيجي الأهم، من الصعب أن تخلي الدول الخليفة لأميركا عن استراتيجية تعدد مصادرها والرطوخ إلى التبعية التجارية للسعودية، وإلى التبعية الاستراتيجية لترامب في "تحالف عالمي جديد" يخوض حرباً نفطية تهدّد الأمن والاستقرار الهش في العالم. فالصين التي تعارض بشدّة "عقوبات آحادية الجانب" وفق المتحدث باسم الخارجية الصينية، ترى أن ترamp يتقصّدها في إملاءاته لإحكام الهيمنة الأميركيّة على معايير المنظومة الدوليّة. وفي حال تعرّضها لعقوبات أميركية بسبب رفع الخصوص لحرب ترamp النفطية، من المحتمل أن تضطر الصين لتحسين علاقتها مع إيران بزيادة الاستيراد من إيران أكثر من 650 ألف برميل وتضطر أيضاً إلى تغيير المعايير مع الذي يتخذها ترamp رئيس حربة في شرق آسيا إذا انخرطت في هذه الحرب الاستراتيجية وهي الهند واليابان وكوريا الجنوبيّة.

هذه الدول الثلاث المعنية بالاستقرار في معايير شرق آسيا الاستراتيجية، من الصعب أن تنجرّ إلى غمار حرب غير محسوبة العواقب إذا انساقت إلى إملاءات ترamp على حساب مصالحها العليا، وفي وقت يعيش كل منها ولا سيما في الهند وكوريا الجنوبيّة نسمة شعبية حادة ضدّ التبعية لأميركا. ولهذا يعرب وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف عن ثقته بأن مراهنات ترamp بالهروب إلى الأمام هي نتيجة اليأس ويقول في الجمعية الآسيوية في نيويورك "نؤمن بأن إيران ستواصل بيع النفط وسيستمر مرور النفط عبر مضيق هرمز".

فضلاً عن اطمئنان إيران إلى فشل مراهنات ترamp على تصدير الصادرات الإيرانية إلى دول شرق آسيا، تمطئ إلى تركيا الرافضة لحرب ترamp على لسان وزير خارجيتها مولود جاويش أوغلو. فأنقرة هي أكثر حلفاء أميركا تضرراً من التصعيد ضد إيران ومن تعويم السعودية والامارات في المنطقة. ولا ترکن إلى أميركا في الداخل التركي وفي سوريا والعراق. وفي حال تعرّض تركيا إلى عقوبات أميركية، قد تستغل الطرف للخروج من عنق الزجاجة بتوطيد التعاون مع روسيا والصين على الصعيد الدولي والاتجاه مع إيران إلى توطيد التعاون الإقليمي لمواجهة مغامرات السعودية والامارات في اليمن والسودان وليبيا وصولاً إلى الصومال.

إيران الواثقة من فشل حرب النفط ومن فشل العقوبات عليها وعلى الدول الثمانية المشمولة بوقف الاعفاءات، ترد على خطوات التصعيد الأميركيّة بمثلها. فقد صدّفت القيادة المركزية الأميركيّة في الشرق الأوسط وأفغانستان "ستوكوم" على لائحة الإرهاب ردّاً على تصنيف الحرس الثوري، في إشارة إلى إمكانية الرد العسكري إذا امتنطت أميركا ذريعة الإرهاب ضد الحرس أو إذا عارضته في مضيق هرمز. لكن إيران الواثقة من فشل تهديدات ترamp، تدعو في الوقت نفسه إلى الدخول في مفاوضات جادة مع الأمم

المتحدة والدول الأوروبية بشأن مضيق هرمز، وفق رئيس لجنة الأمن القومي في البرلمان الإيراني حشمت الله فلاح بيشه الذي يؤكد أن السعودية ستكون الأقل استقراراً على مستوى العالم. وفوق كل هذه المعطيات يبقى بمتناول إيران عناصر استراتيجية قوية إذا احتاجت لاستخدامها، وفي مقدمتها إغلاق مضيق هرمز الذي تعبّر عنه 40% من الإمدادات النفطية ولم تستطع السعودية الالتفاف عنه بمد أنبوب من منطقة الخراخير إلى ميناء نشطون في المهرة اليمنية وبحر العرب. ففي رده على سؤال بشأن إغلاق المضيق أكد طريف في نيويورك "إذا مُنعوا من استخدام الخليج لأمننا فلماذا نضمن استخدامه للآخرين"، ويرى أن الرباعي ابن زايد وابن سلمان ونتنياهو وبولتون لديهم أجندة سرية ويريدون سوق أميركا إلى كارثة عسكرية.

ما يهدّد السعودية والإمارات في انحرافها بالحرب النفطية ضد إيران، هو ما يهدّد ترامب بفشل مراهنته على مشاريع الناتو العربي وحلف وارسو الجديد واحتمال فشل "التحالف الدولي الجديد" في الحرب النفطية. وهي المشاريع التي تهدف إلى إطلاق صفقة القرن مع إسرائيل بدعم سعودي وإماراتي. وليس صدفة تأجيل إعلان الصفقة إلى ما بعد شهر رمضان الذي تحفل السعودية والإمارات بنهايته. وليس صدفة إعلان الحرب النفطية على إيران قبيل إعلان الصفقة. فتولّي السعودية والإمارات العمل مع ترامب ونتنياهو على مشروع صفقة عرقوبية لمصلحة إسرائيل، يعرضهما إلى مزيد من الكراهية بين الشعوب العربية. ويهدّدهما بسحب بساط التحرير الطائفي والعرقي ضد إيران الذي وقع به العديد من الجماعات التكفيرية والإسلامية والليبرالية. ويهدّد فشل مشروع الصفقة الذي يراهن عليه ترامب لإعادة انتخابه في أميركا، بغرق المركب مع المجد في السعودية والإمارات.